

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[288] أية إِمْتِيازات أو تفاوت، وسوف يقال لهم: (لقد جئتمونا كما خلقناكم أوَّـلَ مَرَّةٍ). فليسَ ثَمَّةَ كلام عن الأموال والثروات، ولا الذهب والزينة، ولا إِمْتِيازات والمناصب المادية، ولا الملابس المختلفة، وليسَ هُناكَ ناصر أو معين، ستعودون كمثّل الحالة التي خلقناكم فيها أوَّـلَ مَرَّةٍ، بالرغم من أنَّكم كُنْتُمْ تتوهمون عدم امكان ذلك؛ (بل زعتم ألن نجعل لكم موعداً). وذلك في وقت سيطرت فيه حالة الغرور عليكم بما أوتيتم من إِمكانيات مادية غفلتم معها عن الآخرة، وأصبحتم تفكرون في حياتكم الدنيا وخلودها، وغفلتم عن نداء الفطرة فيكم. ثمَّ تشير الآيات إلى مراحل أُخرى من يوم البعث والمعاد فتقول: (ووضع الكتاب). هذا الكتاب الذي يحتوي على أحوال الناس بكل تفصيلاتها: (فترى المجرمين مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ). وذلك عندما يطَّلعون على محتواه فتتجلى آثار الخوف والوحشة على وجوههم. في هذه الأثناء يصرخون ويقولون: (ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلاَّـهَ أَحْصَاهَا). الجميع مدعوون للحساب عن كل شيء مهما دنا وَصَغُرَ، إِنْ زَنَّهُ مَوْقفٌ مَوْحِشٌ. لقد نسينا بعض أعمالنا وكأن لم نفعلها، حتى كُنَّا نَظُنُّ بِأَنَّنَا لَمْ نَقْمِ بِعَمَلٍ مُّخَالِفٍ، لكن نرى اليوم أنَّ مَسْئُولِيَّتَنَا أَصْبَحَتْ ثَقِيلَةً جَدًّا ومُصِيرَنَا مُظْلَمٌ. بالإضافة إلى الكتاب المكتوب ثمة دليل آخر: (ووجدوا ما عملوا حاصراً). وجدوا الحسنات والسيئات؛ الظلم والعدل، السلبيات والخianات، كل هذه وغيرها وجدوها مُتَجَسِّدَةً أمامهم. في الواقع إِنْ زَنَّهُمْ يُلَاقُونَ مُصِيرَ أَعْمَالِهِمْ: (ولا يظلم ربُّكَ أحداً). الذي سيُشملهم هُناكَ، هو _ لا مُحَالَة _ ما قاموا به في هذه الحياة الدنيا، لذلك فلا يلومون أحداً سوى أنفسهم. * *